الماسة الزرقاء

محمود سالم

الماسة الزرقاء

تأليف
محمود سالم

هنـــداوي

الماسة الزرقاء

محمود سالم

الناشر مؤسسة هنداوي
المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

يورك هاوس، شييت ستريت، وندسور، SL4 1DD، المملكة المتحدة
تليفون: ٨٣٢٥٢٢ ١٧٥٣ (٠) ٤٤ +
البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org
الموقع الإلكتروني: https://www.hindawi.org

إنَّ مؤسسة هنداوي غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وإنما يعبِّر الكتاب عن آراء مؤلفه.

تصميم الغلاف: وجدان توفيق

الترقيم الدولي: ٧ ٢٦٧٦ ٥٢٧٣ ١ ٩٧٨

صدر هذا الكتاب عام ١٩٨٥.
صدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠٢٢.

جميع حقوق النشر الخاصة بتصميم هذا الكتاب وتصميم الغلاف محفوظة لمؤسسة هنداوي.
جميع حقوق النشر الخاصة بنص العمل الأصلي محفوظة لأسرة السيد الأستاذ محمود سالم.

المحتويات

من هم الشياطين الـ «١٣»؟	٧
أبطال هذه القصة	٩
مفاجأة ... في الاجتماع	١١
هل «كريم الدين» ... شخصية مزيفة؟!	١٧
«بروك» ... هل يكون هو الصيد الثمين؟!	٢٣
فجأة ... تحوَّل المكان إلى شجن	٢٩
معركة ليلية في الجبال	٣٥
«رشيد» ... يتحدَّث بلغة الذئاب	٤١

من هم الشياطين الـ«١٣»؟

إنهم ١٣ فتًى وفتاةً في مثل عمرك، كلٌّ منهم يُمثِّل بلدًا عربيًّا. إنهم يقفون في وجه المؤامرات الموجَّهة إلى الوطن العربي ... تمرَّنوا في منطقة الكهف السِّري التي لا يعرفها أحد ... أجادوا فنون القتال ... استخدام المسدسات ... الخناجر ... الكاراتيه ... وهم جميعًا يُجيدون عدة لغات.

وفي كل مغامرةٍ يشترك خمسة أو ستة من الشياطين معًا ... تحت قيادة زعيمهم الغامض رقم «صفر» الذي لم يرَه أحد، ولا يعرف حقيقته أحد.

وأحداث مغامراتهم تدور في كل البلاد العربية ... وستجد نفسك معهم مهما كان بلدك في الوطن العربي الكبير.

أبطال هذه القصة

رقم «١»: «أحمد» من مصر.

رقم «٢»: «عثمان» من السودان.

رقم «٣»: «إلهام» من لبنان.

رقم «٤»: «هدى» من المغرب.

رقم «٥»: «بو عمير» من الجزائر.

رقم «٦»: «مصباح» من ليبيا.

رقم «٧»: «زبيدة» من تونس.

رقم «٨»: «فهد» من سوريا.

رقم «٩»: «خالد» من الكويت.

رقم «١٠»: «ريما» من الأردن.

رقم «١١»: «قيس» من السعودية.

رقم «١٢»: «باسم» من فلسطين.

رقم «١٣»: «رشيد» من العراق.

رقم «صفر»: الزعيم الغامض الذي لا يعرف حقيقته أحد!

مفاجأة ... في الاجتماع

هدأ المقر السري للشياطين، وأعلنت الساعة الإلكترونية العاشرة مساءً ... وكان هذا هو موعد نوم الشياطين عندما لا يكون لديهم عمل ...

وفي السادسة صباحًا يكونون قد استعدوا لإجراء تمارين اليوم قبل تناول الإفطار ... لكن في هذه الليلة لم ينَم «أحمد» مبكِّرًا ... كبقية الشياطين. كان يشعر بالرغبة في القراءة، لكنه عندما فكَّر: ماذا يُريد أن يقرأ الآن؟ لم يحدِّد بالضبط، غير أنه قال في نفسه: إن قراءةً خفيفةً يمكن أن تساعد على النوم؛ فالقراءة المتعمِّقة تحتاج إلى تركيز، ممَّا يساعد على «الأرق».

ولذلك فقد قام إلى المكتبة الصغيرة الملحقة بحجرته، وأخذ ينتقي عِدة جرائد من جرائد الأسبوع، وعندما رقَدَ على سريره يتصفَّحها وقعتْ عيناه على خبرٍ صغير. أسرع إلى الصفحة الأولى في الجريدة ليعرف تاريخ صدورها، فعرف أنها صدرت منذ أربعة أيام. أعاد قراءة الخبر مرةً أخرى، كان الخبر يقول:

«مجهول يشتري ماسةً زرقاء بمبلغ أربعة ملايين و٦٠٠ ألف دولار».

ثم كانت تفاصيل الخبر التي تقول: «دفع مجهول مبلغ ٤ ملايين و٦٠٠ ألف دولار لشراء ماسة زرقاء من صالة المزادات «كريستي» ... في «جنيف».

والماسة الزرقاء تُعتبر من الماسات النادرة. وكانت تاريخيًّا مِلكًا لأحد الأثرياء من رجال الأعمال في روسيا القديمة، وهي على شكل ثمرة الكمثرى. يبلغ وزنها ٩٢ و٤٢ قيراطًا ... وهي تُعتبر الماسة الثالثة في العالم من حيث الوزن؛ حيث تزن الماسة الثانية ٥٢ و٤٥ قيراطًا، أمَّا الماسة الأولى فيبلغ وزنها ٨٥ و٤٥ قيراطًا».

عندما انتهى من إعادة قراءة الخبر شَرد يفكِّر: إن شراء ماسة لها هذه النُّدرة، وبهذا المبلغ الضخم، يجعلني أفكِّر أكثر من مرة؛ فسوف تكون لهذه الماسة حكاية.

بدأ ذهن «أحمد» يصحو أكثر، وبدأ يفكِّر في حكاية «الماسة الزرقاء»، لكنه في نفس الوقت كان في حاجة إلى النوم؛ لأنه سوف يصحو مبكِّرًا كالعادة، ولا يمكن أن يتأخَّر عن تدريبات الصباح، بجوار أنه لا يستطيع أن يتخلَّف عن الشياطين، ولم يحدث مرةً أن تَخلَّف عنهم؛ لذلك أطفأ النور وحاول أن يستغرق في النوم.

بدأ يُجري التمارين التي يعرفها، والتي تجعله ينام سريعًا، ولم تمضِ دقائق حتى كان قد استغرق في النوم فعلًا، لكنه في تمام السادسة صباحًا كان يقفز من السرير وهو في منتهى النشاط، وكان أول شيء خَطَرَ على ذاكرته هو حكاية «الماسة الزرقاء». وبسرعة أمسك بالجريدة وأعاد قراءة الخبر للمرة الثالثة، وعندما انتهى منه ألقى الجريدة جانبًا وأسرع إلى الحمام، في الوقت الذي كان جرس التليفون يرن ضغط زرًّا بجوار الحوض فتردَّد صوت «رشيد»: هل ما زلت نائمًا؟

أجاب «أحمد»: لقد استيقظتُ منذ دقائق قليلة مضت ... لكن هناك ما يشغلني.

سأل «رشيد»: وما هو؟

أجاب «أحمد»: سوف أُخبرك عندما نلتقي جميعًا؛ فهي مسألة تُهم الشياطين.

انتهى من الحمَّام فأسرع بارتداء ملابس التمرين، وأخذ طريقه إلى حيث يتجمَّع الشياطين لينطلقوا إلى أرض الملعب؛ فقد كانت تمرينات اليوم عبارةً عن بعض ألعاب القوى، الجري، والقفز الطويل، والقفز بالزانة، ورمي الجلَّة والقرص.

في الملعب بدأت المنافسة بين الشياطين على من يستطيع تحقيق أرقام أعلى. وكان المدرِّب يتابع محاولاتهم. وعندما انتهى التمرين كان «أحمد» و«بو عمير» و«عثمان» قد حقَّقوا أرقامًا جديدةً في القفز ورمي الجلة والقرص، بينما حقَّق «رشيد» و«باسم» و«مصباح» أرقامًا جديدةً في الزانة والجري. أمَّا «ريما» و«إلهام» و«زبيدة» فقد كانت أرقامهن متقاربة.

عادوا إلى حجراتهم على أن يلتقوا في المطعم لتناول الإفطار. وحرص «أحمد» على أن ينتهي من حمَّامه وثيابه بسرعة، ثم يذهب إلى قسم المعلومات قبل أن يصل الشياطين إلى المطعم.

وفي قسم المعلومات ضغط زر حرف «م»، فظهرت آلاف الكلمات والأسماء التي تبدأ بحرف «الميم»، ومن بينها جاء اسم «ماس». ضغط الزر الخاص به فظهرت على الشاشة الكبيرة التي أمامه مجموعة من المعلومات أخذ «أحمد» يقرؤها بسرعة.

كانت المعلومات تقول: «الماس حجر كريم تركيبه من الكربون النقي المتبلور ... وهو شفَّاف أو نصف شفاف، وقد يكون به ظل من اللون الأصفر أو الأخضر أو الأزرق. والماس

أعلا المواد صلابة. وأقدم موطن للماس في «الهند» و«بورنيو»، حيث وُجد في رواسب الطمي وتجمُّعات الأنهار. وأهم موارده الآن مناجم «جنوب أفريقيا»، حيث يُستخرج من الصخور النارية التي تملأ مصبَّات البراكين القديمة. أمَّا «البرازيل» فتُشتهر بالماس الأسود ... الذي يُستخدم في صناعة آلات القطع والحفر.

وأشهر الماسات المعروفة في العالم جاءت من «الهند»، ومنها «المغول العظيم». وقد ضاعت هذه الماسة ولم يُعثر لها على أثر، ولا يُعرَف عنها شيء إلا من خلال كتابات وأوصاف الرحَّالة الفرنسي «جان تافرنييه».

ثم ماسة «أورلوف»، وقد أُهديت إلى «كاترين» الثانية قيصرة روسيا، وهناك أيضًا ماسة «جبل النور»، أو «كوهنور»، وهي جوهرة موجودة في التاج البريطاني الآن.

وجوهرة «كولينان»، وهي من ماسات جنوب أفريقيا، وقد أُهديت إلى الملك «إدوارد السابع» ... وهي جوهرة ضخمة قُطعت منها ١٠٥ جوهرة؛ منها اثنتان عُدَّتا لزمنٍ طويلٍ أكبر ماسات العالم».

انتهى «أحمد» من القراءة، غير أنه في نهايتها كانت هناك جملة: «انظر «كوهنور»». ضغط زر حرف «ك» فظهرت الكلمات والأسماء ومن بينهم «كوهنور». ضغط الزر الخاص به، ثم قرأ ما ظهر على الشاشة:

««كوهنور» أو جبل النور، اسم ماسة هندية مشهورة في التاريخ. أدَّت محاولات اقتنائها إلى ارتكاب جرائم كثيرة؛ ففي عام ١٨٤٩م دخلت في حوزة البريطانيين، وبعد إعادة قطعها وصقلها ضُمَّت إلى جواهر التاج».

قال «أحمد» في نفسه: إذن فالماسة الزرقاء واحدة من الماسات النادرة.

لمعت لمبة حمراء في قسم المعلومات، فأدرك أنه تأخَّر، وأن الشياطين قد وصلوا إلى المطعم ... أطفأ الأجهزة التي أمامه، ثم أسرع إلى حيث يوجد الشياطين. كانت عيناه تنظران في اتجاه «رشيد» الذي كان ينظر إلى «أحمد» بنظرات متسائلة ... انضمَّ إليهم وبدأ بتناول إفطاره.

إلا أن «ريما» أسرعت تسأله: لعل قسم المعلومات كان يقدِّم إليك ما نحتاجه في المغامرة الجديدة!

ابتسم «أحمد» وهو يقول: من يدري؟ فقد تكون حقيقة!

اقترب منه «رشيد» وهو يقول: ماذا يشغلك؟

بلع «أحمد» اللُّقمة التي في فمه، ثم قال: لقد قرأتُ خبرًا مثيرًا في إحدى الجرائد الصادرة يوم السبت الماضي؛ أي منذ أربعة أيام.

صمت فسأل «رشيد»: وما هو الخبر المثير؟

كان الشياطين يستمعون إلى ما يدور بين الاثنَين، فقال «عثمان»: لعله خبر الماسة الزرقاء.

ظهرت الدهشة على وجه «أحمد»، ثم ابتسم قائلًا: هل لفتت نظرك؟!

قال «عثمان»: وهل يَخفى مثل هذا الخبر؟ ... بل إنني عرفت الكثير عن الماس، وأظن أنك قرأت نفس ما قرأته في قسم المعلومات.

ضحك «أحمد» وهو يقول: هذا رائع، فما رأيك إذن؟

قطع «بو عمير» الحديث قائلًا: فلْنعرف إذن حكاية الماسة حتى نشارككم الرأي.

نظر «أحمد» إلى «عثمان» الذي أخذ يشرح لهم ما قرأه، ثم ما عرفه من قسم المعلومات. وقبل أن ينتهي من حديثه تردَّد صوت جرس، فالتقت أعين الشياطين.

وقالت «زبيدة»: إنه الاجتماع.

سكتت لحظة، ثم تساءلت: تُرى، هل يكون من أجل «الماسة الزرقاء»؟

ردَّت «إلهام»: إنها مسألة مثيرة فعلًا، وقد تكون هي مغامرتنا القادمة.

سأل «أحمد»: ما رأيكم إذن؟

قال «فهد»: أعتقد أنها مسألة تستحق الاهتمام، بل إنني أُضيف أن الشخص المجهول لا بدَّ وأن يكون أحد الأثرياء العرب؛ فبينهم كثيرون لهم هواية جمع هذه الأشياء النادرة.

قال «أحمد»: لقد فكَّرت في ذلك فعلًا.

قالت «ريما»: أعتقد أن الاجتماع سوف يضع النقط فوق الحروف. وأمامنا دقائق فقط ثم نعرف.

ردَّ «باسم»: عندك حق. هيَّا بنا.

أخذ الشياطين طريقهم إلى قاعة الاجتماعات التي كانت تغرق في إضاءة هادئة. وعندما استقرَّ كلٌّ منهم في مكانه أُضيئت الخريطة الإلكترونية، وعندما ظهرت التفاصيلُ تردَّدت الابتساماتُ فوق أوجه الشياطين.

لقد كانت الخريطة لـ «سويسرا»، تلك الدولة الصغيرة التي تبلغ مساحتها ٤١ ألفًا و٢٨٨ كيلومترًا مربعًا، في حين أن الأردن تبلغ مساحتها ٩٦ ألفًا و٦١٠ كيلومتر، واليمن ١٩٥ ألفًا و٦١٠ كيلومتر، والسعودية ٢ مليون و٢٥٣ ألفًا و٣٠٠ كيلومتر مربع، ومصر مليون كيلومتر مربع، وهي تقع بين فرنسا و«إيطاليا» وألمانيا والنمسا. ورغم صغر مساحتها إلا أنها تُعتبر بنك العالم كله.

همست «إلهام»: هل أكَّدت الخريطة طبيعة المغامرة القادمة؟

ردَّت «ريما»: ما زلنا في انتظار الزعيم الذي سيقول الكلمة الأخيرة ... فمن يدري؟ قد تكون المغامرة لها طبيعة أخرى!

فجأةً تردَّد صوت رقم «صفر» يقول: ها أنتم قد عرفتم طبيعة المغامرة الجديدة. قد تكون هناك فقط بعض التفاصيل الصغيرة عن مالكها الجديد ... أمَّا «أحمد» و«عثمان» فقد جهَّزا نفسَيهما للمغامرة.

سكت رقم «صفر» لحظة، ثم أضاف: سوف أكون عندكم حالًا.

نظر الشياطين إلى بعضهم. لقد تحدَّدت المغامرة إذن. إنها حكاية «الماسة الزرقاء» ... صحيح أنهم لا يعرفون الآن ماذا حدث للماسة، لكن هي في النهاية قضيتهم الجديدة.

تردَّد صوت أقدام رقم «صفر» وهو يقترب حتى توقَّف. رحَّب بهم، ثم قال: التفاصيل التي يمكن إضافتها أن صاحب الماسة الجديدة هو الثري العربي «كريم الدين علي»، وهو من هُواة جمع الأحجار الكريمة النادرة، ويملك منها مجموعات غاليةً تمامًا؛ لكن «الماسة الزرقاء» تُعتبر أهم قطعة لديه الآن، وقد ظلَّ يتتبعها منذ سنوات حتى عرف أنها سوف تُباع في مزاد «كريستي»، فأرسل محاميه لشرائها ... إن الماسة لا تزال في «جنيف» ولم تُنقل منها بعد، لكن كما تقول تقارير عملائنا في «سويسرا»، هناك احتمال كبير لمحاولة سرقة الماسة في لحظة نقلها من «سويسرا» إلى الدولة العربية التي ينبغي ألَّا نعلن اسمها الآن. وطبعًا سوف تكون عصابة «سادة العالم» خلف عملية السرقة. لمعت لمبة حمراء على شاشة الخريطة، فقال الزعيم: هناك رسالة عاجلة من أحد العملاء.

أخذ صوت أقدامه يختفي حتى اختفى تمامًا. نظر الشياطين إلى بعضهم. كان يتردَّد في خاطرهم سؤال: هل يمكن أن تكون قد سُرقت فعلًا الآن؟

مرَّت دقائق، ثم بدأ صوت أقدام رقم «صفر» يقترب، وعندما توقَّف قال: لقد سُرقت الماسة منذ نصف ساعة فقط!

هل «كريم الدين» ... شخصية مزيفة؟!

لم تظهر الدهشة على وجه الشياطين، لكن ظهرت ابتسامة؛ فقد كانوا يتوقَّعون ذلك ... جاء صوت رقم «صفر» يقول: أعرف أنكم تتوقَّعون سرقة الماسة، وهذه ليست القضية. إن القضية الأخطر أن تفقد الماسة قيمتها؛ فقد تلجأ العصابة إلى تقطيعها في أحجام صغيرة، وفي هذه الحالة تفقد الماسة حجمها الذي يعطيها هذه الأهمية.

سكت لحظة، ثم أضاف: إنني في انتظار تفاصيل جديدة حتى يمكن أن تبدءوا المغامرة؛ ولذلك فسوف نوقف الاجتماع الآن، على أن تعتبروا أنفسكم في حالة اجتماع دائم. عليكم بالاستعداد للانطلاق في أية لحظة؛ فالمسألة سوف تكون مسألة وقت.

ثم أخذ صوت أقدام رقم «صفر» يبتعد شيئًا فشيئًا، إلا أن الشياطين لم يغادروا القاعة؛ فلم يكن هناك ما يشغلهم. إن ما يفكِّرون فيه الآن هو «الماسة الزرقاء».

قال «رشيد»: أعتقد أن الماسة سوف تظل في «جنيف» لفترة من الوقت حتى تهدأ الأمور.

ردَّ «بو عمير»: بل يمكن أن تخرج فورًا قبل أن تُتخذ إجراءات ضبطها.

لم يشترك أحد من الشياطين في الحديث؛ فقد كانت كل فكرة تحمل وجهة نظر صحيحة، ومن الممكن فعلًا أن تفكِّر العصابة في إبقاء الماسة فترةً من الوقت، كما أنها يمكن أن تقوم بتهريبها سريعًا.

استغرق الشياطين في التفكير. كان بعضهم ينظر إلى الخريطة التي كانت لا تزال مضاءة ... إن خروج الماسة يمكن أن يكون من خلال الحدود «الألمانية» أو «الإيطالية» أو «الفرنسية» أو «النمساوية».

كان «أحمد» يفكِّر: هل تخرج إلى الحدود الإيطالية حيث يوجد المركز الرئيسي للعصابة، أو إنهم يقومون بعملية خداع فتخرج عن طريق آخر؟! ... وهل تخرج عن

طريق الجو أو البر؟! وكيف ستخرج؟ ... هل تكون في جيب أحدهم مثلًا، أو تكون داخل حقيبة أو بين ثيابه؟!

عشرات الاحتمالات. ظلَّ «أحمد» يُقلِّبها في رأسه.

فجأةً قالت «إلهام»: هل تقوم العصابة بتقطيع الماسة وتهريبها إلى خارج «سويسرا»؟

نظر إليها الشياطينُ دون أن يردَّ أحدهم على سؤالها ... فقد كان السؤال الذي طرحته «إلهام» يحتاج إلى تفكيرٍ عميق، وإلى وضع احتمالات، غير أن «خالد» قطع الصمت قائلًا: أعتقد أن العصابة قد تلجأ إلى ذلك الحل إذا اكتشفت أنه من الصعب تهريبها كاملة ... فلقد سرقت عصابة «سادة العالم» الماسة، ولا أظن أنها سوف تُعيدها مرةً أخرى ما لم تطلب مقابلًا ماليًّا؛ ولذلك فهي سوف تلجأ إلى أحد الحلَّين؛ إمَّا تهريبها كاملةً إذا تيسَّر ذلك، وإمَّا تقطيعها عندما يصعب تهريبها كاملة.

صمت لحظة، ثم أضاف: إنني أعتقد أنها سوف تساوم عليها، فتطلب مقابلًا ماديًّا كبيرًا لها.

قال «قيس»: العصابة لا تعرف لحساب مَن بيعت الماسة. فلو أنها عرفت فربما حدثت عملية المساومة.

قالت «زبيدة»: لا تنسَ أن محامي الثري العربي هو الذي اشتراها، ويمكن إجراء المساومة معه.

اشتدَّ الحوار، إلا أن «أحمد» كان قد استغرق في التفكير في الاحتمال الذي طرحه «خالد» ... فقد تلجأ العصابة فعلًا إلى مساومة المحامي لردِّ الماسة؛ فهي بهذه الطريقة تكون قد حقَّقت أغراضها.

فجأةً قطع صوت الزعيم حرارة المناقشة عندما قال: إنني أرجِّح الاحتمال الذي طرحه «خالد». إنني في الطريق إلى الاجتماع.

التقت أعين الشياطين عند «خالد» الذي ابتسم قائلًا: إنني أُضيف إلى هذا الاحتمال أن العصابة سوف تنتظر بعض الوقت، ولن تُقدم على المساومة الآن.

كان صوت أقدام رقم «صفر» قد اقترب، فصمت الشياطين، وعندما توقَّف الصوت، قال الزعيم: إنني أيضًا مع إضافة «خالد»، فسوف تنتظر العصابة بعض الوقت.

سكت قليلًا، ثم قال: إن عملاءنا لم يتوصَّلوا إلى شيء بعد، وهذا قد يؤخِّر تحرُّككم؛ ولذلك فسوف لن ننتظر ... سيقوم الشياطين بمغامرتهم اعتمادًا على ما لديهم من معلومات برغم قلتها، وأي معلومات جديدة سوف تكون عندكم.

سكت مرةً أخرى في نفس اللحظة التي أُطفئت فيها الخريطة الإلكترونية، ثم أضيئت مرةً أخرى. تابع الشياطين ما يحدث في صمت. بعد دقيقة ظهرت صورة لرجلٍ في حدود الخمسين من عمره، يبدو عليه الذكاء ... يتمتع بعينَين لامعتَين ... غزير الشعر، له شارب رفيع أنيق ... تغطِّي وجهه ابتسامة هادئة خبيثة. جاء صوت رقم «صفر» يقول: إنها صورة «فرانزكوبر» محامي الثري العربي، وأهم شخصية في مغامرتنا. إنه «سويسري» الجنسية، يتنقَّل بين دول كثيرة ... فهو واسع الأعمال. إن الماسة لم تُسرق منه ... بل سُرقت من خزانة إلكترونية في بنك «جينيفا بنك»؛ فبعد أن انتهى المزاد على «الماسة الزرقاء» في صالة مزادات «كريستي»، وانتهت إلى ملكية الثري «كريم الدين»، نُقلت تحت حراسة مشدَّدة إلى «جينيفا بنك»، ويبدو أن العصابة كانت تعرف ذلك جيِّدًا؛ فقد انتظرت حتى استقرَّت الماسة في خزانة البنك، ثم قامت بعمليتها، وهي لم تسرقها في نفس اليوم أو الليلة، لقد انتظرت أربعة أيام حتى هدأ كل شيء، ثم خبطت خبطتها، وهي طريقة ذكية بالتأكيد.

سكت رقم «صفر» قليلًا، ثم أضاف: إن «كريم الدين» كان في «سويسرا» أثناء إجراء المزاد. وقد شوهد في البنك في اليوم التالي، حيث شاهد الماسة التي أصبحت من أملاكه، ثم غادر البنك، وسافر مباشرةً عائدًا إلى بلده، وبعدها بثلاثة أيام اختفت الماسة.

مرَّت دقائق صَمَت خلالها رقم «صفر»، بينما كان الشياطين ينتظرون حديثه، وعندما استمرَّ الصمت قطعه «عثمان» قائلًا: أعتقد أن هناك حلقةً مفقودة.

جاء صوت رقم «صفر»: كيف أيها العزيز «عثمان»؟

ردَّ «عثمان»: إن احتمال وجود ثري مزيَّف مسألة يجب أن نضعها في اعتبارنا.

شمل القاعة صمت قلق؛ فالاحتمال الذي طرحه «عثمان» يمكن أن يكون حقيقة، وفي هذه الحالة ينبغي إجراء تحقيق سريع حول الثري العربي، والتحقُّق من أنه هو الذي ذهب إلى البنك، وأنه هو نفسه الذي غادر «سويسرا».

قطع صوت رقم «صفر» صمت القاعة قائلًا: إنه احتمال قائم فعلًا.

سكت لحظة، ثم أضاف: يجب على الشياطين أن يتحرَّكوا بسرعة، وهناك يمكن أن تتابعوا الموقف مع عملائنا.

صمت مرةً أخرى، ثم قال: أودِّعكم الآن وإلى اللقاء.

تردَّد صوت خطواته مُبْتعدًا حتى اختفى في نفس اللحظة. غادر الشياطين القاعة إلى غرفهم في انتظار تعليمات رقم «صفر». ولم يكَد «أحمد» يدخل غرفته حتى كانت شاشة التليفزيون في الغرفة تحمل أسماء الشياطين المكلَّفين بالمغامرة، وكانت الأسماء تضم «أحمد»، «عثمان»، «فهد»، «قيس»، «رشيد».

في دقائق كان قد أعدَّ كلٌّ منهم ما يحتاجه ووضعه في حقيبته السحرية، ثم رفع سماعة التليفون، وضغط زرًّا يفتح على خطوط الشياطين، ثم تحدَّث إليهم قائلًا: مجموعة «الماسة الزرقاء» تلتقي بعد خمس دقائق.

سمع الشياطين كلمات «أحمد»، فوضع كلٌّ منهم السمَّاعة واتجه إلى الباب. كان «أحمد» أول من وصل إلى جراج المقر السري، وبعد دقيقة واحدة كانت بقية المجموعة قد انضمَّت إليه. قفز «رشيد» إلى عجلة القيادة، وأخذ كلٌّ من الشياطين مكانه. وفي لمح البصر كانت السيارة تأخذ طريقها إلى بوابة المقر الصخرية التي فُتحت عندما اقتربت السيارة، ثم أُغلقت مرةً أخرى، بينما كانت السيارة تقطع الطريق كالبرق في الاتجاه المحدَّد.

كانت أول محطة طيران هي «روما»، ثم منها إلى «جنيف». وعندما كانت الطائرة تُحَلِّق في الطريق إلى «روما» بعد أن غادرت أول نقطة انطلاق لها، كان الشياطين قد احتلوا أماكن متناثرة في الطائرة؛ ففي مثل هذه المغامرة يحتاج الشياطين إلى معلومات؛ فهم يبدءون مغامرتهم بمعلومات ناقصة، والقاعدة التي يتبعها الشياطين أن السفر خيرُ طريق لجمع المعلومات وإقامة العلاقات؛ ولذلك فإن كلًّا منهم كان يحاول أن يبدأ علاقةً ما بمن يجلس إلى جواره.

كان «أحمد» يجلس بجوار شابٍّ متوسِّط العمر، مستغرقٍ في قراءة مجلَّة مصوَّرة. بينما كان «فهد» يجلس بجوار سيدة عجوز استغرقت في النوم، أمَّا «رشيد» فكان يجلس بجوار رجل أسمر، له لحية صغيرة، وكان يبدو وكأنه عربي، أو آسيوي. في حين كان «قيس» يجلس بجانب فتاة رقيقة الملامح، استغرقت في النظر من نافذة الطائرة، التي كانت بجوارها. أمَّا «عثمان» فقد أغمض عينَيه واستغرق في النوم. في حين كان الرجل الضخم الذي يجلس بجواره يُراقبه في اهتمام ... فقد كانت ملامح «عثمان» الأفريقية لافتةً للنظر.

ألقى «أحمد» نظرةً إلى المجلَّة المصوَّرة في يد جاره، فوقعت عيناه على تحليل سياسي عن علاقة القوى العظمى بالدول الفقيرة. قال «أحمد» في صوتٍ هادئ: إنها علاقات مُعقَّدة.

نظر الشاب الجالس بجواره إليه، وقال: هل تهتَم بمثل هذه التحليلات السياسية؟

ردَّ «أحمد»: نعم؛ ففي عالمنا هذا ينبغي أن نعرف الكثير؛ فعلاقات القوى العظمى بغيرها تهم البشر جميعًا.

وهكذا بدأ الحوار بينهما ... لكنه لم يكن حوارًا مفيدًا بالنسبة للمغامرة، وإن كانت فائدته عامة؛ فهو في النهاية نوع من الاستطلاع لرأي الشباب في عالمنا المعاصر. قطع

الحوارَ بينهما صوتُ مذيعة الطائرة تطلب ربط الأحزمة؛ فسوف تنزل الطائرة في مطار «روما»، الذي لا يَبعد أكثر من خمس دقائق.

لم يتوقَّف «أحمد» عن حديثه؛ فبينما كانت أصابعه تقوم بربط الحزام. كان يرد على سؤالٍ وجَّهه إليه الشاب الذي كان سينزل في «روما». كان «أحمد» يقول: إنني أدعوك لزيارة بلادنا؛ فسوف ترى أشياء مختلفةً عمَّا تقرؤه عنها.

ابتسم الشاب وهو يقول: أرجو أن تُتاح لي الفرصة، وسوف أكون سعيدًا.

ثم تبادل الاثنان بعض المعلومات في نفس اللحظة التي كانت عجلات الطائرة تلامس أرض المطار. وعندما توقَّفت حيَّا الشاب «أحمد»، ثم انصرف.

نظر «أحمد» في اتجاه الشياطين. كان كلٌّ منهم منهمكًا في الحديث مع جاره، وعندما وقعت عيناه على «قيس» ابتسم؛ فقد كان منهمكًا في الحديث مع الفتاة، لكن ابتسامة «أحمد» تراجعت بسرعة؛ فقد سدَّ المكان جسمٌ ضخمٌ دخل لتوِّه من باب الطائرة. ألقى نظرةً سريعةً على المقاعد وأرقامها، ثم أخذ طريقه في اتجاه «أحمد»، وبصوتٍ خشنٍ قال: هذا مكاني.

هزَّ «أحمد» رأسه بمعنى نعم وأفسح له الطريق، وبصعوبة مرَّ الرجل العملاق وألقى بنفسه في المقعد المجاور، فاصطدمت حقيبة يده في ظهر المقعد الأمامي، ثم طارت في الهواء لتستقر في ممر الطائرة. صرخ العملاق: الحقيبة!

ألقى «أحمد» نظرةً سريعةً عليها. كانت قد انفتحت وتناثرت بعض محتوياتها ... أسرع «أحمد» يجمع الأشياء، بينما كان العملاق يحاول أن يقف. لفت نظر «أحمد» تمثال صغير لـ «بوذا» من الصين وقد انشطر نصفَين. وعندما همَّ بوضع يده عليه كان العملاق يقف فوق رأس «أحمد» وهو يزأر: دَعْه لا تلمسه!

وقفت يد «أحمد»، وبسرعةٍ كان الرجل يُغلق الحقيبة التي كان «أحمد» قد وضع فيها ما تناثر منها. عاد الرجل إلى مقعده وألقى نفسه فيه، فأخذ «أحمد» مكانه. كان العملاق يضع الحقيبة فوق رجلَيه في حرص ... لفت نظر «أحمد»، ودارت في رأسه أسئلة كثيرة جعلته يُخفي ابتسامةً وهو يقول لنفسه: هل يكون العملاق هو بداية الخيط؟

«بروك» ... هل يكون هو الصيد الثمين؟!

نظر «أحمد» إلى العملاق نظرةً جانبيةً سريعة. كان متجهِّم الوجه، تبدو عليه الشراسة، قال في نفسه: لا أظن أن الحديث معه يمكن أن يُفيد الآن. ربما عندما ترتفع الطائرة في الفضاء وينقضي بعضُ الوقت، يكون قد هدأ.

ولذلك تشاغل بقراءة إحدى المجلات التي تضعها شركة الطيران لتسلية الركاب. بعد قليل بدأت الطائرة تتحرَّك، ثم ارتفعت حتى استقرَّت في الجو. إنها في الطريق إلى محطتها الأخيرة، إلى «جنيف».

كانت عينا «أحمد» تجري فوق الكلمات دون أن يفهم شيئًا؛ فقد كان ذهنه يفكِّر في كيفية بداية الحديث مع العملاق، قال في نفسه: إن البداية العادية يمكن أن تكون مفيدة.

نظر إلى العملاق وهو يبتسم قائلًا: هل أستطيع أن أعرف كم الساعة الآن؟

نظر له العملاق لحظة، ثم قال: إنني في العادة لا أحمل ساعة؛ فالوقت لا يهمني.

ابتسم «أحمد» قائلًا: معذرة؛ فقد كنت أظن أنك تحمل ساعة.

شعر أن الرجل لا يُريد أن يبدأ معه الحديث ... لكن كان من الضروري أن يحاول مرةً أخرى، وقال: هل أنت ذاهب إلى «جنيف»؟

ردَّ العملاق: أظن أن هذه آخر محطة للطائرة.

مرةً أخرى شعر أنه لا يريد الحديث، ومع ذلك قال: هل هذه أول مرة تذهب إلى هناك؟

ردَّ العملاق: هل هذه مسألة تُهمك؟

قال «أحمد»: ربما؛ فهذه أول مرة أذهب فيها إلى «جنيف».

ردَّ: أعرفها جيدًا ...

سأل «أحمد»: هل هي حقًّا جميلة كما يقال، أو كما يظهر في الصور؟

ردَّ: إن الجمال مسألة نسبيَّة؛ فقد تُعجبني ولا تعجبك، والعكس بالعكس كذلك.

قال «أحمد»: هذا صحيح، لكن على العموم يقولون إنها بلد جميل.

ردَّ: نعم.

استمرَّ «أحمد»: اسمي «تيمور» من «تنجانيقا» في أفريقيا.

انبسطت ملامح العملاق وهو يقول: لكنك لست أسود!

ابتسم «أحمد» وقال: كثيرون في أفريقيا ليسوا سودًا؛ فأنا تجري في عروقي دماء مصرية، هل تسمع عن مصر؟

ردَّ العملاق بقليلٍ من الابتسام: نعم، لقد زرتها مرة، وشاهدت الهرم الأكبر …

أبدى «أحمد» دهشةً وهو يقول: هذا رائع! لقد زرتها أنا أيضًا، ونزلت في فندق قريب من الهرم، وأبي الهول، اسمه «ميناهاوس».

ابتسم العملاق لأول مرة وهو يقول: لقد نزلت في نفس الفندق، وكنت سعيدًا تمامًا …

قال «أحمد»: لعلك اشتريت بعض التحف الفرعونية من مصر؟

قال العملاق: للأسف، لم يكن لديَّ وقت لذلك.

قال «أحمد» بود: عندما نصل إلى «جنيف» أقدِّم لك هديةً مصرية؛ فأنا أحمل بعضها، جاءتني خصوصًا لأنني أعرف أن الأوروبيين يُحبون الأشياء المصرية.

ابتسم العملاق ابتسامةً عريضةً وهو يقول: سوف أكون شاكرًا.

استمرَّ الحديث بين الاثنَين، وأصبح العملاق أكثر ودًّا، وكانت هذه فرصة للدخول في حديث التماثيل الفرعونية وتاريخها، فأخذ «أحمد» يحدِّث العملاق عنها، ثم قال في النهاية: إنني من هُواة جمع التماثيل، ولديَّ قطع نادرة منها؛ بعضها أتيتُ بها من الصين، والبعض من اليابان، ومن «الهند»، وأهمها عندي تمثال لـ «بوذا».

فجأةً تغيَّر وجه العملاق، وشعر «أحمد» أنه أخطأ في الحديث عن «بوذا»، وأنه في النهاية يمكن أن يفسد هذه العلاقة التي استطاع بعد جُهدٍ أن يقيمها مع العملاق. سأل «أحمد»: هل أحزنتك؟

قال العملاق في هدوء: لا، غير أن التمثال الذي معي، وهو ثمين جدًّا، قد انكسر.

قال «أحمد» بمرح: هذه ليست مسألةً هامة. إنني يمكن أن أعيده كما كان؛ فلديَّ نوع من اللصق يعيد الأشياء المكسورة إلى حالتها الأصلية، ولا يستطيع أحد أن يكتشف ما فيه.

ظهر نوعٌ من التردُّد على وجه الرجل، لكنه بعد لحظةٍ قال: هل المادة معك الآن هنا؟!

ردَّ «أحمد»: نعم إنها مع زميلي، وسوف أُحضرها حالًا.

وبسرعة قفز من مكانه في اتجاه «قيس» الذي كان يجلس في نهاية الطائرة. كان يريد أن يختفي عن أعين العملاق لأنه قد قرَّر خطةً ما. أخذ طريقه إلى دورة المياه بعد أن تجاوز «قيس»، وعندما أغلق الباب على نفسه أخرج مادةً لاصقةً من حقيبته السرية، وخلط بها مادةً خاصة، ثم عاد. وجلس بجوار العملاق الذي ابتسم قائلًا: إنني أعتذر لك؛ فلم أقدِّم لك نفسي برغم طول الحديث.

سكت لحظة، ثم قال: اسمي «بروك»، وأعمل في الأعمال الخاصة.

ابتسم «أحمد» وقال: أهلًا بك يا سيد «بروك». هيَّا بنا ننتهي من مشكلة التمثال.

فتح «بروك» الحقيبة فظهر تمثال «بوذا». كانت عينا «أحمد» ترصد محتويات الحقيبة بسرعة؛ فلم تكن تهمُّه عندما جمعها عند سقوط الحقيبة، أمَّا الآن فقد أصبحت هناك أهمية لأي شيء. كانت الأشياء في الحقيبة قليلةً إلى حد أنها تلفت النظر؛ مفكرة صغيرة، عدة أقلام لا تبدو غريبة، ولَّاعة على شكل مسدس صغير، عدة أكياس من القطن، وبينها كان يرقد تمثال «بوذا» الذي انشطر إلى نصفَين.

أخذ «أحمد» نصفَي التمثال وأخرج المادة اللاصقة، ثم مرَّ بها على طرفَي التمثال، وضمَّ النصفَين معًا، وضغط عليهما قليلًا. نظر إلى «بروك» وقال: بعد دقيقتَين سوف يعود التمثال كما كان، وأراهن إذا استطاع أحد أن يكتشف أنه مكسور.

ابتسم «بروك» وقال: إنني أشكرك؛ فقد أنقذت تمثالًا عزيزًا عندي.

مرَّت الدقيقتان، فرفع «أحمد» يدَيه عن التمثال، ثم قال: الآن تستطيع أن تدقَّ عليه دون خوف.

نظر «بروك» إلى «أحمد» مُتردِّدًا، ثم أخذ يدق برفق على التمثال، إلا أن «أحمد» ابتسم قائلًا وهو يتناول التمثال منه: دعني أجرِّب حتى نطمئن.

رفع التمثال، ثم دقَّ به على طرف الحقيبة في قوة دون أن يحدث شيء. كانت عيناه تراقبان وجه «بروك» الذي يبدو منزعجًا. ضحك «أحمد» ضحكةً خفيفةً وهو يقدِّم له التمثال: إنه الآن كما كان، وربما أصبح أقوى قليلًا؛ فطبيعة هذه المادة أن تتغلغل في ثنايا الشيء المكسور لتصبح قطعةً منه.

أخذ «بروك» التمثال وقد غطَّت وجهه السعادة، ثم لفَّه في القطن وأغلق الحقيبة. وعندما وضعها فوق ركبتَيه ابتسم قائلًا: سوف لن أنسى لك هذا الصنيع أبدًا، وأتمنَّى أن نلتقي فيما بعد.

قال «أحمد»: هل ستبقى طويلًا في «جنيف»؟

قال «بروك»: هذا يرتبط بمدة انتهائي من العمل.

سكت قليلًا، ثم قال: غير أنني أظن أنني لن أمكث طويلًا.

وقبل أن يفتح «أحمد» فمه قال «بروك»: أين تنزل؟

ردَّ «أحمد»: ليس في مكان محدَّد. إن ذلك سوف أعرفه عندما نصل إلى «جنيف»؛ فنحن أتينا تبعًا لشركة سياحية.

وبسرعة سأل: أتنزل في فندق مُعيَّن؟

ردَّ «بروك» بسرعة: لا، إن أحد الشركاء سوف ينتظرني في المطار.

وبعد لحظة قال: يمكن أن نتفق عندما نصل على طريقة للقاء.

شعر «أحمد» بجهاز الاستقبال يسجِّل رسالةً ما. وضع يده على صدره حيث يختفي الجهاز وقد عرف أنها من أحد الشياطين، بل إنه عرف محتواها قبل أن يتلقَّاها. كانت رسالةً شفريةً تقول: ««٢٥-٣-٢٩-١٩» وقفة «٢٩-٧-٢٩-١٧-٢٩-٢٠-٢٩-٢٧» وقفة «١-١٨-٢٥-٧» وقفة «٢٩-١٧-٢٩-٢٠-٣» وقفة «٦-٥» وقفة «٦-٨-٢٩-٥» وقفة «٩-٢٠-١-٢٨» وقفة «٣-٥-٢٩-٨» وقفة «١٧-١» وقفة «١١-١-٢٠» وقفة «١٤-٢٨-١-١٢-١» انتهى.»

ابتسم «أحمد» عندما تلقَّى الرسالة، حتى إن «بروك» الذي لاحظ ذلك سأله: ماذا يسعدك؟

ردَّ «أحمد»: لقد تذكَّرت اللحظة الأولى التي جلستَ فيها إلى جواري. لقد كنت غاضبًا تمامًا ... وقد كنت أتمنَّى أن أجد من أتحدَّث إليه؛ فالمسافة طويلة ... الآن ها نحن قد صرنا أصدقاء.

ضحك «بروك» ضحكةً لفتت انتباه رُكَّاب الطائرة؛ فقد تردَّدت الضحكة القوية في فضاء الطائرة، وقال: إن اللحظة الأولى لا تكفي للحكم على الإنسان. من الضروري أن يتعامل أولًا، ثم يضع حكمه في النهاية.

ابتسم «أحمد» قائلًا: هذا صحيح.

في نفسه اللحظة كان يرسل رسالةً إلى «فهد» ردًّا على رسالته، شرح له فيها ما حدث. بعدها مباشرةً جاءته رسالة من «رشيد» الذي التقط رسالة «فهد»، قال لـ «أحمد» فيها: «يبدو أنك وقعتَ على صيدٍ ثمين. تهنئتي لك».

أخفى «أحمد» ابتسامةً حتى لا يسأله «بروك» مرةً أخرى. كان «بروك» ينظر من نافذة الطائرة وقد ارتسمت على وجهه ابتسامة هادئة، جعلت «أحمد» يقول في نفسه: هل

يمكن أن يكون هذا الوجه الهادئ وجه عضو في عصابة؟ وهل يمكن أن يكون هو صاحب المهمَّة الخطيرة؟! ... وهل يكون كما فكَّرتُ تمامًا؟

قطع تفكيرَه صوت مذيعة الطائرة تقول: إننا نقترب من الحدود السويسرية الآن، وبعد ربع ساعة سوف نكون فوق «جنيف». كابتن الطائرة وطاقمها يهنِّئونكم بسلامة الوصول، ويتمنَّون لكم إقامةً سعيدةً في «جنيف».

مرَّت دقائق. كان الركَّاب خلالها قد بدءوا يجهِّزون حاجياتهم، ثم جاء صوت المذيعة من جديدٍ يطلب ربطَ الأحزمة؛ فقد دخلت الطائرة مجال العاصمة السويسرية. وعندما انقضت ربع ساعة بالضبط كانت الطائرة قد تجاوزت العاصمة «برن»، ودخلت مدينة «جنيف» ... وما هي إلا دقائق أخرى حتى كانت تأخذ طريقها إلى أرض المطار. وعندما توقَّفت ابتسم «بروك» وهو يقول: أرجو أن نلتقي في صالة المطار عند مكتب الاستعلامات.

حيَّاه «أحمد» وظلَّ يرقبه وهو يغادر الطائرة. تجمَّع الشياطين عند الباب ونزلوا الواحد بعد الآخر. سأل «فهد»: أين الصيد؟

ابتسم «أحمد» قائلًا: لا تخشَ شيئًا. إن كان فعلًا هو الصيد الذي نرجوه فلن يفلت منا.

أخذوا طريقهم إلى صالة المطار. ومن بعيد قرأ الشياطين لافتةً مكتوب عليها «مكتب استعلامات المطار». مرَّت ابتسامة على وجوههم جميعًا، واتجهوا إليه، لكن «بروك» لم يكن هناك ... همس «مصباح»: هل أفلت الصيد؟

ردَّ «أحمد» مبتسمًا: لقد توقَّعت ذلك، لكنه لن يفلت!

أخذوا طريقهم إلى الخارج، وفجأةً صاح «رشيد»: أليس هو؟!

نظر الشياطين في نفس الاتجاه الذي نظر إليه «رشيد». كان «بروك» يدخل سيارة «مرسيدس» بنية اللون. أسرع «قيس» وأخرج نظارته المكبِّرة ووضعها على عينَيه، وقبل أن تختفي السيارة كان قد استطاع أن يقرأ رقمها. ومع أن الرقم كان مكوَّنًا من ستة أرقام، إلا أنه حفظه بسرعة.

سأل «أحمد»: هل التقطت الرقم؟

ردَّ «قيس»: نعم، إنه ٩٨٦٣٢٤.

قال «أحمد»: رائع. هذه إضافة جديدة.

سأل «عثمان»: تقصد رقم السيارة؟

ردَّ «أحمد»: ليس الرقم فقط، ولكن اختفاء «بروك» قبل أن نلتقي حسب رغبته يؤكِّد شكوكنا فيه.

وبسرعة تحرَّك الشياطين إلى حيث كانت سيارتهم في الانتظار. وعندما فتح «فهد» الباب بالمفتاح السري جاء صوت عميل رقم «صفر» يرحِّب بهم. وعندما أغلق آخر واحد فيهم الباب بعد أن ركبوا السيارة، تردَّد صوت العميل مرةً أخرى يقول: «فندق السلام» بزاوية ٤٥ من النقطة «ب».

شكره الشياطين، وانطلق «فهد» بالسيارة إلى حيث يقع «فندق السلام». في نفس الوقت ضبط «أحمد» مؤشِّر جهاز الْتقاط الإشارات على موجة مُعيَّنة، فتحرَّك المؤشِّر إلى اتجاه محدَّد.

وقال «أحمد»: إن الصيد تحت أيدينا الآن!

فجأة ... تحوَّل المكان إلى شجن

عندما دخل الشياطين «فندق السلام» أخذ «رشيد» طريقه إلى مكتب الاستعلامات، ثم تسلَّم مفاتيح الغرف. عاد إلى الشياطين الذين كانوا قد انتشروا في صالة الفندق الواسعة. كان «أحمد» يقف أمام لوحة مُعلَّقة أخذ يقرأ ما عليها، في حين كان «فهد» و«قيس» قد اشتبكا في حوار، بينما كانت أعينهم تدور في أرجاء الصالة. أمَّا «عثمان» فقد وقف وحده يرقب طفلَين يجريان في الصالة عندما رأوا «رشيد» متجهًا إليهم. أخذوا طريقهم إلى مكان المصعد، حيث استقلوا مصعدًا إلى الدور العاشر ... وعندما توقَّف المصعد غادروه. أشار «رشيد» إلى مكان الغرف، وكانت ثلاثة؛ غرفة لـ «أحمد» حيث تُعقَد الاجتماعات، وغرفة لـ «عثمان» و«قيس»، وغرفة لـ «رشيد» و«فهد».

قال «أحمد»: سوف نلتقي بعد ربع ساعة ... أخذ كلٌّ اثنَين طريقهما إلى غرفتهما، ودخل «أحمد» غرفته. كان أول شيء فعله أن اتصل بعميل رقم «صفر» ليعرف آخر الأخبار ...

قال العميل: إن هناك حالة طوارئ قصوى، والعصفورة لم تَخرج من «جنيف»، وقد أحضرت أجهزةً دقيقةً تمامًا لكشف من يحملها، غير أنه حتى الآن لم يظهر شيء.

سأل «أحمد»: هل كان «كريم الدين» هو نفس الشخص الذي شاهد العصفورة، أو أن هذه كانت خدعة؟

ردَّ العميل: يُرجَّح أن تكون هناك خدعة قد حدثت، وإن كانت الجهات المسئولة لم تقطع بالأمر بعد.

سأل «أحمد» من جديد: هل يتوقَّع طيران العصفورة قريبًا؟

ردَّ العميل: ربما في خلال أسبوع مثلًا؛ فالخبراء يتوقَّعون أن تكون هذه هي المدة.

سأل «أحمد»: هل هناك توقُّع بأن تضع العصفورة عدة بيضات؟

لم يُجِب العميل بسرعة؛ فقد مضى بعض الوقت، حتى إن «أحمد» أعاد السؤال بطريقة أخرى حتى يفهم. كان الاثنان يتحدَّثان بلغةٍ متفق عليها، ولا يعرفها إلا الشياطين، وعملاء رقم «صفر» في العالم؛ حتى لا يكتشف أحد اللغة التي يتحدَّثون بها. أخيرًا أجاب العميل: لا أظن؛ فهم يتوقَّعون أن تطير العصفورة بنفسها دون أن تضع بيضها؛ لأن ذلك سوف يُفقدها قيمتها.

شكر «أحمد» العميل في نهاية مكالمته وقال: إذا حدث شيء سوف نعاود الاتصال.

كان «أحمد» يقصد بالعصفورة «الماسة الزرقاء»، أمَّا البيض فهو عملية تقطيعها إلى ماسات صغيرة.

وقعت عينا «أحمد» على جرائد اليوم. أخذ يتصفَّحها بسرعة، لكنه لم يجِد ما يُشير إلى السرقة، قال في نفسه: إنهم لم يُعلنوا عن سرقة الماسة حتى لا يلفتوا النظر. إنهم بذلك يجعلون العصابة تتصرَّف بأمان حتى تقع في أيديهم.

بعد لحظةٍ قال لنفسه: لكن المؤكَّد أن العصابة تعرف ذلك؛ فهي تتصرَّف بحذرٍ شديد.

جلس أمام شرفة واسعة تُطل على ميدان كبير. ومن بعيدٍ رأى لافتةً مكتوب عليها «جينيفا بنك» ... ابتسم وقال لنفسه: إذن، لقد حدثتِ السرقة هنا.

ظلَّ يتأمَّل الميدان لحظة، ثم تجمَّع الشياطين. أشار «أحمد» إلى اللافتة وهو يقول: من يدري؟ قد يكون أفراد العصابة قد نزلوا في هذه الغرفة حتى يكون «جينيفا بنك» تحت أعينهم!

ابتسم «رشيد» وهو يعلِّق: من يدري؟

تساءل «فهد»: هل تحتاج العصابة إلى نقل تمثال صغير كالذي يحمله «بروك» من أجل إخفاء الماسة؟! ... لماذا لم يشتروا تمثالًا من «سويسرا» بدلًا من هذه العملية؟!

لم يرُدَّ أحد مباشرة؛ فقد كان السؤال معقولًا، لكن بعد لحظة قال «أحمد»: أعتقد أن التمثال قد صُنع خصوصًا لذلك؛ فمن المؤكَّد أنه مصنوع من مادة ضد الإشعاعات وأجهزة الكشف حتى لا ينكشف وجود «الماسة» في داخله، وربما يكون الدليل أنه قد صُنع خصوصًا بهذه الطريقة التي كُسر بها؛ فعندما وقعت الحقيبة على الأرض انشطر إلى نصفَين متساويَين، وهذا يعني أنه مُجهَّز لعملية خاصة، ولو كان تمثالًا عاديًّا لانكسر بطريقةٍ أخرى ...

بعد لحظةٍ ردَّ «قيس»: هذا احتمال كبير.

بدأ الشياطين يرسمون خطة تحرُّكهم، وكانت البداية هي تسجيل الإشارات التي يسجِّلها جهاز الإشارات. كان «أحمد» قد وضع الجهاز فوق منضدة صغيرة أمامهم، وكان

مؤشِّره يتذبذب في مكانه، بما يعني أنه يستقبل الإشارات الصادرة إليه من التمثال. قال «فهد»: إنها خطة ذكية تمامًا أن تلجأ للمادة المشعة فتخلطها بالمادة اللاصقة لتمثال «بوذا». لقد استطعت أن تسيطر على التمثال لأنه بذلك لن يغيب عن أعيننا.

فجأةً تحرَّك مؤشِّر الجهاز، قال «عثمان»: إنه يتجه بزاوية حادة في اتجاه الغرب، وهذا يعني أنه ربما أخذ طريقه إلى «فرنسا».

قال «أحمد»: لا بدَّ أن نتحرَّك الآن حتى لا نعطيهم فرصة الخروج من «جنيف».

كان الشياطين قد حدَّدوا على خريطة صغيرة موقع التمثال الآن من خلال الإشارات التي يسجِّلها الجهاز، وبسرعةٍ كانوا يأخذون طريقهم إلى الخارج، بينما «أحمد» قد أخفى الجهاز الدقيق في جيبه. وفي لمح البصر كانوا يغادرون الفندق إلى حيث تقف سيارتهم.

كان الليل قد هبط على مدينة «جنيف»، وبدأت حركة الشوارع تهدأ، غير أن الشوارع الرئيسية كانت مضاءةً جيدًا، أمَّا الشوارع الجانبية فقد كانت هادئة الضوء. كان «فهد» يقود السيارة متجهًا تبعًا لمؤشِّر تابلوه السيارة الذي كان يتحرَّك تبعًا لاتجاه مؤشِّر جهاز كشف الإشارات. قطعت السيارة شارع «سان لابال» الرئيسي، وعند نهايته تفرَّع إلى شارعَين. أعطى الجهاز إشارةً إلى اتجاه الشمال حيث لا يمكن الدخول.

اضطُر «فهد» أن يدور بالسيارة دورةً واسعة حتى يستطيع العودة مرةً أخرى إلى نفس المكان. تتبَّع اتجاه المؤشِّر إلى شارع صغير هو شارع ٢٠١. كان الشارع هادئا تمامًا، إضاءته خافتة. استمرَّ يسير في الشارع ببطء، حتى إذا وصل إلى نهايته توقَّف المؤشِّر عن الحركة. نظر الشياطين إلى بعضهم. إن هذا يعني أن التمثال موجود في هذه النقطة ... ولم تكُن النقطة سوى عمارة متوسِّطة الارتفاع تصل إلى خمسة أدوار.

همس «رشيد»: علينا أن نغادر السيارة لنبدأ عملنا.

مرَّت دقيقة قبل أن يقول «أحمد»: سوف أنزل أنا و«قيس»، بينما يقوم بقية الشياطين بعملية المراقبة، على أن يظل الاتصال مستمرًّا بيننا.

في لحظة ... كان الاثنان قد غادرا السيارة التي تحرَّكت مبتعدةً عنهما لتقف في مكان مظلم بجوار فيلا هادئة تمامًا، وكأن أحدًا لا يسكنها. في نفس الوقت تحرَّك «أحمد» و«قيس» إلى العمارة التي حدَّدها مؤشِّر الجهاز. كانت أبوابها مغلقة. نظر «قيس» حوله قليلًا، ثم أخرج مفتاحه السري وأدخله في الباب، ثم أداره فانفتح الباب. في نفس اللحظة كانت هناك رسالة يسجِّلها الجهاز عند «أحمد». كانت الرسالة شفرية: ««٣-٥-٢٩-٨» وقفة «٢٠-٢٥-٢٩-٧» وقفة «٢٣-٧-١٠» وقفة «٢٩-٧-٢٨-٢٩-٢٨» انتهى».

نقل «أحمد» الرسالة إلى «قيس» وهو يجذبه قائلًا: انتظر.

كانت السيارة قد وجَّهت أشعةً كاشفةً إلى مدخل العمارة، فكشفت كل شيء، فتوقَّف «أحمد» و«قيس» لحظةً كانت كافيةً ليظهر أحد الرجال. نظر إليهما وقال: هل تريدان شيئًا؟

ردَّ «أحمد» بسرعة: إننا نبحث عن رقم «٨٩».

ردَّ الرجل: هل قرأتما هذا الرقم على باب العمارة؟

ردَّ «أحمد»: إنه لم يظهر جيدًا.

نظر لهما الرجل نظرةً ذات معنًى، ثم قال: إنها ليست «٨٩».

بسرعة سأل «أحمد»: كم هي إذن حتى نستطيع أن نحدِّد المنزل الذي نريده؟

لم يُجِب الرجل مباشرة، لكنه قال بعد لحظة: إنه «٩٨».

ابتسم «أحمد» ابتسامةً تمثيليةً وهو يقول: نحن نعتذر. لقد قرأنا الرقم خطأً.

انسحب الرجل وأغلق الباب ... ثم ابتعد الاثنان قليلًا، فهمس «قيس»: ماذا نستطيع أن نفعل الآن؟

قال «أحمد»: سوف نرى!

ابتعدا أكثر. ألقى «أحمد» نظرةً على المكان ... كانت الأبنية متباعدة، لكنه قال: يمكن أن ندخل العمارة من أعلاها.

أرسل رسالةً شفريةً إلى الشياطين في السيارة: ««٢٠-٩-٢٨-٤-٢٩» وقفة «٢٩-٧-٦-٨-٢٩-٥» وقفة «٨-٤-١٠» وقفة «٥-٢٢-٢٣-٧» وقفة «٢٩-٧-١٢-٦-٢٩-٢٠-٣» وقفة «٦-٧» وقفة «٢٩-٧-١٨-١٤-٢٤» انتهى».

وعندما انتهى من الرسالة أشار إلى «قيس»، ثم اتجها إلى شارع «٢١٨» المتفرِّع من «٢٠١». وعندما وقفا عند العمارة التي تقع خلف «٨٩» همس «أحمد»: سوف ندخل هذه العمارة ونصعد إلى سطحها مباشرة.

في لحظةٍ كان «قيس» يفتح الباب بطريقته الخاصة، وبسرعة كانا يصعدان السلالم في رشاقة. وبرغم وجود المصعد إلا أنهما لم يستخدماه حتى لا يلتقيا بأحد. كانت العمارة في نفس ارتفاع العمارة رقم «٨٩» ... وصلا إلى السطح. كانت المسافة بين العمارتَين حوالي خمسة أمتار، استطاع «قيس» أن يقدِّرها بسرعة، ثم قال: إنها ليست مسافةً مخيفة. إن قفزةً واحدةً تجعلنا هناك، خصوصًا وأن الأحذية التي نلبسها تساعد على القفز دون صوت.

وفي لمح البصر تراجع «أحمد» حتى نهاية السطح، ثم جرى، وقفز قفزةً واسعةً فتجاوز المسافة ونزل على سطح العمارة. في نفس الوقت كان «قيس» يقوم بنفس المحاولة ... لكن فجأةً وبينما «قيس» في الهواء، رنَّت طلقة جعلت «أحمد» ينظر مشدوهًا؛ فقد تخيَّل أن «قيس» قد أُصيب؛ فقد اهتزَّ «قيس» في الهواء، لكنه وصل إلى السطح ووقع على الأرض.

أسرع «أحمد» إليه، إلا أن «قيس» طمأنه بسرعةٍ وهو يقول: لقد كِدت أُصاب، ولولا أنني انحنيت في الهواء لكانت الطلقة قد استقرَّت في جسمي.

سكت لحظة، ثم قال: ليست هذه هي المسألة الآن، المهم أننا قد انكشفنا، ولا بدَّ أننا سندخل المعركة حالًا!

قال «أحمد»: يجب أن نفاجئهم إذن قبل أن يحاصرونا.

وبسرعة تحرَّك الاثنان إلى الباب المؤدِّي إلى سُلم العمارة ... لكن الباب كان مغلقًا. أسرع «قيس» يمارس اختصاصه وذلك بوضع المفتاح في ثقب الباب. وما كاد يفتحه حتى انهالت طلقات الرصاص عليهما. ألقى كلٌّ منهما نفسه على الأرض. لقد كان صوت الطلقات مكتومًا، حتى إن «أحمد» فكَّر: إنها مسدسات كاتمة للصوت.

أشار إلى «قيس» أن يتجه إلى الجانب الآخر من الباب، واتجه هو إلى الجانب الأقرب إليه ... وعندما أصبحا بجوار الباب أخرج كلٌّ منهما مسدسه في انتظار الاشتباك. لحظة، ثم أسرع «قيس» بإخراج قنابل الدخان من جيبه. أخرج واحدةً من الباب المفتوح، في نفسه اللحظة التي توالت فيها الطلقات مرةً أخرى، لكن ذلك لم يوقفه؛ فقد أخرج قنبلةً أخرى، ولم تمضِ دقائق حتى سمع صوت سعال، فهمس: لقد فعلَت القنابل مفعولها.

قال «أحمد»: ينبغي أن نهجم الآن!

دخلا من الباب بسرعة. كانت بداية السلم أمامهما ... لكن أحدًا لم يكُن موجودًا. الْتصق كلٌّ منهما بجدار، ونزلا في هدوء. قال «أحمد» بسرعة: ينبغي أن ننزل أسرع حتى لا نعطي أحدًا فرصة.

وفي لمح البصر كانا يهبطان السلم. وعندما وصلا عند أول طابق توقَّفا. إن عليهما أن يدخلا الآن هذه الغرف الكثيرة حتى يكتشفا ما بداخلها. أشار «أحمد» إلى «قيس»، ثم دخل كلٌّ منهما غرفة ... لكنهما عادا بسرعة، وكان هذا يعني أنه لا يوجد أحد. نزلا إلى الطابق التالي ولم يقابلهما أحد. ظلا ينزلان حتى رأى «أحمد» سُلمًا يتوسط الحجرة التي دخلها. توقَّف لحظة، ثم أرسل رسالةً إلى «قيس» يخبره أنه سوف ينزل من على السلم الجديد، بينما استمرَّ «أحمد» في النزول. كان السُّلم غريبًا؛ فهو لا ينتهي أبدًا. إنه يمر في

كل طابق، ويمتد إلى ما بعده في نفس الوقت، لم يكن في كل طابق سوى باب واحد. كان ترتيب المبنى يبدو غريبًا.

فجأةً وصلت «أحمد» رسالة شفرية من الشياطين: ««٢٧-٢٤-٢٠-٨» وقفة «٢٩-٧-٣-٢٢-١٠» وقفة «٢٩-٧-١» وقفة «٢٧-٢٤-٢٧» وقفة «٢٩-٧-٢٩-٢١-١٥» انتهى».

بعد أن فهم «أحمد» معنى الرسالة وقف ينظر حوله. لم يكن هناك مكان يمكن أن ينفذ منه. كانت الجدران كلها كالسد، فقال في نفسه: هل وقعتُ في سجن؟!

ثم تحرَّك من مكانه، لكن السلم كان قد اختفى.

معركة ليلية في الجبال

فكَّر «أحمد» بسرعة: ماذا يفعل الآن؟

قال في نفسه: إن «قيس» يمكن أن يُضيف شيئًا.

أسرع يرسل رسالةً إلى «قيس»، الذي ردَّ في لحظة. كان «قيس» في نفس الموقف. لقد تحوَّل المكان حوله إلى جدران فقط، دون منفذ ... فأسرع يرسل رسالةً إلى الشياطين يشرح لهم فيها الموقف، وجاءه ردُّ الشياطين: هل ندخل المعركة؟

فكَّر «أحمد» قليلًا عندما جاءه الرد: هل يقع الشياطين كلهم في الفخ؟! إن ذلك سوف يعطي العصابة فرصة التصرُّف!

أرسل رسالةً سريعة: لا داعي مؤقَّتًا.

فجأةً كان الجدار ينشق. أخرج «أحمد» مسدسه بسرعة إلا أنه لم يستخدمه؛ فقد وجد «قيس» أمامه، سأله بسرعة: كيف أتيت؟

ابتسم «قيس» قائلًا: وهل يقف الشياطين عاجزين؟ إن جهاز الأشعة يستطيع أن يحل أي مشكلة.

صمت قليلًا، ثم أضاف: المهم، أين «بوذا» الآن؟

قال «أحمد»: لقد أصبح تحت الأرض، إلا أن الرسالة الجديدة التي وصلت من الشياطين غيَّرت الموقف تمامًا. كانت الرسالة تقول: «إن «الصقر» طار من العش، في الطريق إلى مكان مجهول!»

نقل «أحمد» الرسالة إلى «قيس»، ثم أخرج جهاز الإشارات. كان المؤشِّر يتحرَّك. فهم «أحمد» أن الماسة قد تحرَّكت من المكان، أرسل إلى الشياطين رسالةً شفريةً تقول: «ما الموقف الآن بالتفصيل؟»

وقبل أن يتلقَّى الرسالة، صرخ «قيس»: احذر، إن السقف يهبط!

نظر إلى السقف الذي كان ينزل بهدوء. فكَّر بسرعة: إن العصابة تريد أن تتخلَّص منا؛ فهي تظن أننا وحدنا.

لكن ... هل تنجح العصابة؟

كان السقف يقترب منهما شيئًا فشيئًا. إن ذلك يعني أنه سوف يقترب حتى يلتصق بالأرض، وإن ذلك يعني أنهما سوف يختفيان إلى الأبد تحت السقف ... فجأةً ابتسم «قيس»، فقال «أحمد»: إننا في موقفٍ صعبٍ يدعو فعلًا للضحك!

ردَّ «قيس»: هذه مسألة مثيرة؛ فلأول مرة نتعرَّض لمثل هذا الموقف.

اقترب السقف أكثر حتى أصبح قريبًا من رأسَيهما. مدَّ «أحمد» يده ولمس السقف الذي كان ينزل ببطء شديد وكأنه لا يريد فقط أن يقضي عليهما، ولكن أن يعرِّضهما للخوف الشديد قبل النهاية. أصبح السقف فوق رأسَيهما تمامًا. بدأ يضغط عليهما حتى إنهما اضطُرا إلى النزول على ركبتَيهما. بدأ الهواء يقل وأصبح تنفسُّهما صعبًا.

فجأةً ابتسم «قيس» مرةً أخرى وقال: إننا سوف نلعب معهم نفس اللعبة، فهم الآن يتصوَّرون أننا في طريقنا إلى النهاية؛ ولهذا سوف أقضي على سعادتهم.

بسرعة أخرج جهاز الأشعة وضغط زرًّا فيه وهو يوجِّهه إلى السقف في حركة دائرية واسعة. في نفس اللحظة كان يقترب من «أحمد» حتى التصق به ... وعندما نزل السقف إلى رأسَيهما تمامًا انفصلت الدائرة التي أحدثها جهاز الأشعة عن السقف، وأصبح الاثنان خارج ضغط السقف عليهما.

هبط السقف نهائيًّا حتى التصق بالأرض، إلا أنهما كانا يقفان دون أي إصابة، وبسرعة تحرَّكا. كان أمامهما مكان متسع تمامًا، لكنه خالٍ من أي شيء، تحوطه الجدران. قال «أحمد»: لا بدَّ أن نخرج الآن.

ردَّ «قيس»: ينبغي أن نعرف الموقف جيدًا قبل أن نغادر المكان.

هزَّ «أحمد» رأسه موافقًا، وبسرعةٍ أرسل رسالةً إلى الشياطين، وجاءه الرد: «نحن نطارد العصابة؛ فقد هرب التمثال».

نقل «أحمد» الرد إلى «قيس» الذي قال: ينبغي أن نتبعهم. من الواضح أننا سوف ندخل معركةً كبيرة.

فكَّر «أحمد» قليلًا، ثم أسرع بإرسال رسالة إلى عميل رقم «صفر». كانت الرسالة تقول: «نحتاج سيارةً بسرعة، عند النقطة «م»».

جاء الردُّ من العميل: «بعد خمس دقائق سوف تكون السيارة عند النقطة المتفق عليها».

انتظر قليلًا، ثم أخذ «قيس» يقوم بعمله للخروج من المكان. استخدم جهاز الأشعة، وفتح فتحةً كافيةً للخروج، وعندما انتهت الدقائق الخمس كان الاثنان يخرجان إلى الشارع. ومع أول خطوة كانت سيارة العميل قد وصلت.

كانت سيارةً من النوع الموجَّه الذي لا يحتاج إلى سائق؛ فمن مركز العمليات في مقر عميل رقم «صفر» يتم توجيه السيارة إلكترونيًّا بواسطة الإشعاع. قفز الاثنان داخل السيارة، وبسرعة استطاع «أحمد» أن يرصد الاتجاه الذي تتحرَّك إليه سيارة العصابة، وخلفها سيارة الشياطين. أرسل رسالةً إلى «فهد» و«عثمان» و«رشيد» يخبرهم أنه و«قيس» في الطريق إليهم. وفي ذاكرة العقل الإلكتروني وضع كل المعلومات المطلوبة التي تتحرَّك السيارة بواسطتها، ودون حاجةٍ إلى سائق.

كانت السيارة تشق طريقها إلى الهدف المطلوب ... كان الليل يُحيط بكل شيءٍ في مدينة «جنيف»، وكان الهدوء يعطي للمغامرة مذاقًا خاصًّا ... حتى إن «قيس» علَّق قائلًا: إنها مغامرة جيدة؛ فلأول مرة نستخدم هذا النوع من السيارات التي لا تحتاج إلى جهد، والتي لها قدرة عالية على المناورة، بجوار سرعتها الفائقة.

نظر في مؤشِّر السرعة. كانت تنطلق بسرعة مائة وثمانين كيلومترًا في الساعة. رفع السرعة إلى مائتي كيلومتر، ثم قال: إننا بذلك سوف نلحق بهم سريعًا.

فجأةً وصلت رسالة من الشياطين: «إننا نتجه إلى جبال «الأَلب»، وسوف نمر في نفق «جوثار». يبدو أن العصابة سوف تتجه إلى «إيطاليا»».

سمع «أحمد» و«فهد» الرسالة، وقال «قيس»: يجب أن نلحق بهم قبل عبورهم الحدود إلى «إيطاليا»، وهذه فرصتنا.

أرسل «أحمد» رسالةً إلى الشياطين: «سوف تنتهي المعركة في جبال «الألب»، وقبل أن يمروا من الحدود».

في نفس الوقت رفع «قيس» سرعة السيارة إلى ثلاثمائة كيلومتر في الساعة. ضغط زرًّا في التابلوه فأُضيئت شاشة صغيرة، وعليها ظهرت نقطتان تتحرَّكان، واحدة خلف الأخرى.

وفي نفس اللحظة تحدَّدت المسافة بين سيارة «أحمد» وسيارة العصابة، ولم تكن كبيرة؛ فقط ثلاثين كيلومترًا. قال «قيس»: سوف نلحق بهم في خلال دقائق.

كان المثير حقًّا أن سيارة «أحمد» الموجَّهة بالعقل الإلكتروني بلا أضواء ... ولذلك فقد كانت تخترق الظلام دون أن يكشفها أحد. أخذت السيارة تقترب من أول نقطة حمراء، وهي النقطة التي تحدِّد سيارة الشياطين ... فجأةً ظهرت أضواؤها، فهمس «أحمد»: ينبغي أن ينتقل الشياطين إلينا حتى نتصرَّف معًا.

وبسرعةٍ أرسل إليهم رسالةً يطلب منهم الانتظار. وفي دقائق كانت سيارة «أحمد» تقف بجوار سيارة الشياطين التي أضاءت كشَّافاتها. وعندما شاهد الشياطين السيارة الإلكترونية صاحوا في دهشة، فقال «فهد»: إن هذا شيء رائع! لقد كنت فعلًا في انتظار استخدامها منذ أخبرنا بها رقم «صفر».

بسرعةٍ قفز بقية الشياطين إلى السيارة التي انطلقت.

قال «عثمان» وهو ينظر إلى الشاشة الصغيرة المثبتة في تابلوه السيارة: إننا خلفهم تمامًا.

ومن خلال زجاج السيارة الأمامي ظهرت سيارة العصابة بأضوائها التي تلمع في الظلام. سأل «رشيد»: ما هي الخطوة القادمة؟

قال «أحمد» بسرعة: سوف نتجاوز السيارة، ثم نعطي إشارةً بالتوقُّف. إنهم سوف يتصوَّرون أننا من الشرطة السويسرية، شرطة الحدود مثلًا؛ وفي هذه الحالة سوف تكون فرصتنا، نضربهم الضربة الأخيرة.

في دقائق كانت سيارة الشياطين قد تجاوزت سيارة العصابة التي كانت تنطلق بسرعة عالية، لكنها لا تستطيع بأي طريقة أن تتجاوز سيارة الشياطين الجديدة.

ضغط «قيس» زرًّا في تابلوه السيارة فأصدرت عدة إشارات وهي تبطئ من سرعتها لحظات، ثم توقَّفت أمام سيارة العصابة تمامًا. ورغم الإضاءة العالية التي كانت تصدر من سيارة العصابة، إلا أن الأضواء لم تستطِع أن تَنفذ من زجاج سيارة الشياطين الملوَّن بلونٍ بني.

همس «أحمد» بسرعة: فلينزل «رشيد» و«عثمان» حتى لا يكشفونا؛ فربما كان «بروك» بينهم.

نزل الاثنان واتجها بسرعة إلى سيارة العصابة. ضغط «قيس» زرًّا فتحرَّك مؤشِّر جهاز الاستقبال، الذي بدأ ينقل الحوار الذي يدور بين «عثمان» و«رشيد» وبقية أفراد العصابة.

جاء صوت «رشيد»: إلى أين تتجه السيارة؟

ردَّ صوت: إلى «إيطاليا».

قال «رشيد»: هل معكم جوازات سفر؟

ردَّ الصوت: نعم.

رشيد: هل يمكنني أن أراها؟

مرَّت فترة صمت، ثم تردَّد صوت «رشيد» مرةً أخرى: هل تحملون أجهزةً تخضع للجمارك؟

الصوت: لا.

رشيد: سوف نقوم بالتفتيش!

الصوت: لا بأس، إننا لا نحمل شيئًا؛ فنحن في رحلة سياحية.

رشيد: لا بأس، فقط يجب أن يتم التفتيش.

همس «فهد»: يجب أن نأخذ حذرنا حتى لا يفاجئنا أحدهم بطلقة في الظلام.

قال «أحمد»: سوف نغمرهم بضوءٍ قويٍّ حتى لا يتصرَّف أحد منهم.

وفي لحظةٍ كانت سيارة الشياطين تُصْدر ضوءًا قويًّا كشف سيارة العصابة ومن فيها ومن يقف خارجها في نفس اللحظة. كان «قيس» قد أخرج مسدسه وأطلق طلقةً رنت في صمت الليل، وأعقبتها صرخة ... فلقد رأى «قيس» أحد أفراد العصابة يُخرج مسدسه، فعالجه بطلقة في يده أسقطت المسدس من يده، وقال: إن «بروك» داخل السيارة.

فجأةً كان «عثمان» يطير في الهواء؛ فقد فاجأه أحد الواقفين خارج السيارة بضربة قوية، إلا أن «رشيد» كان قد تصرَّف بسرعة؛ فقد ضرب الواقف أمامه ضربةً مفاجئةً أيضًا أطاحت به. وقبل أن يغادر الشياطين سيارتهم كانت سيارة العصابة قد انطلقت فجأةً وتجاوزت سيارة الشياطين. أمَّا الثلاثة الذين نزلوا منها فقد اشتبكوا في معركة سريعة، إلا أن الشياطين كانوا أسرع منهم؛ فقد ضرب «فهد» أحدهم ضربةً قويةً أسقطته على الأرض وهو يلتوي من الألم.

في حين كان «رشيد» قد طار في الهواء وضرب أقربهم إليه ضربةً جعلته يدور، ثم يسقط على الأرض. أمَّا «قيس» و«أحمد» اللذان لم يُغادرا السيارة فقد انطلقا خلف سيارة العصابة، وتركا الشياطين لينهوا المعركة التي لم تستمرَّ طويلًا. في نفس الوقت أرسل «أحمد» رسالةً إلى الشياطين يخبرهم أن ينتظروا في نفس المكان حتى يعود إليهم. فجأةً توقَّفت سيارة الشياطين؛ فقد كانت سيارة العصابة أمامها مباشرة. وعندما ضغط «قيس» زرًّا أضاء المكان تمامًا، فلم يجد أحدًا داخل السيارة.

قال «قيس» بسرعة: لقد هربوا!

ردَّ «أحمد» في هدوء: لا بأس، فإلى أين سيهربون؟ إنهم لا يعرفون أن التمثال يُصدر ذبذبات يلتقطها جهاز الإشارات فنعرف أين هم.

أخرج جهاز الإشارات وبدأ عمله. تحرَّك مؤشِّر الجهاز محدِّدًا اتجاه اليمين، وقال «أحمد»: إنهم يتحرَّكون في هذا الاتجاه ... إن المهم الآن أن ينضم إلينا باقي الشياطين.

صمت لحظة، ثم أضاف: سوف أبقى هنا، وعليك بإحضارهم.

غادر «أحمد» السيارة واختبأ في الظلام في انتظار عودة الشياطين؛ فقد تأكَّد الآن أن «الماسة الزرقاء» أصبحت تحت يديه.

«رشيد» ... يتحدَّث بلغة الذئاب

لم تنقضِ دقائق حتى كان الشياطين قد عادوا، وفي داخل السيارة عقدوا اجتماعًا سريعًا. قال «فهد»: إنهم يتحرَّكون الآن في مكان لا تستطيع السيارة أن تمرَّ فيه، ويبدو أنهم يتجهون اتجاهًا مُعيَّنًا؛ فقد يكون لهم مقر هنا، أو تكون لديهم خطة لمن يلقاهم عند الحدود؛ لذلك علينا أن نتجه إليهم سريعًا قبل أن تدخل أي عوامل جديدة تكون في غير صالحنا.

أضاف «أحمد»: هذا صحيح، لكنه لا يخيفنا. إن سيارتنا لن تحتاج لمن يسوقها، ونحن نستطيع أن نستخدمها في أي لحظة. إن علينا الآن أن نُسرع إليهم تبعًا للاتجاه الذي يحدِّده جهاز الإشارات، وقبل أن يحدث شيء كما قال «فهد».

غادر الشياطين السيارة بسرعة واتجهوا إلى يمين الطريق كما حدَّد الجهاز. كانوا يتقدَّمون بسرعة، ورغم أن المكان كان يمتلئ بالحجارة والرمال، إلا أنهم كانوا يقفزون برشاقة حتى مع الظلام.

فقد كان الجهاز يقودهم إلى حيث يتحرَّك الآخرون.

فجأةً همس «رشيد»: إنني أسمع صوت أقدامهم. إنهم أمامنا مباشرة.

أنصت الشياطين، وانحنى «أحمد» على الأرض واقترب بأذنه منها، ثم استمع وقال: لقد توقَّفوا، لكني أسمع صوت دقات.

انحنى بقية الشياطين على الأرض وأخذوا يستمعون. قال «عثمان»: يبدو أنهم يُخبِّئون شيئًا في بطن الأرض؛ فالصوت صوت حفر.

أسرع الشياطين، بينما كان «أحمد» يمسك بجهاز الإشارات، فجأةً قال: إننا نقترب منهم تمامًا، ويبدو أنهم يختبئون في مكانٍ ما.

اقترب الشياطين أكثر ... فقال «أحمد»: يبدو أن التمثال هنا.

أخرج «رشيد» مصباحًا وأضاءه. أخذ يبحث فوق الأرض عن آثار حتى توقَّف فجأةً صائحًا: هذه آثارهم!

أسرع الشياطين إليه. كانت هناك آثار فوق الأرض. اقترب «أحمد» بالجهاز منها، ثم قال: إن التمثال هنا.

أخذ «عثمان» و«قيس» يحفران الأرض، ثم فجأةً صاح «عثمان»: ها هو التمثال!

قال «قيس» في فرح: لقد تصوَّروا أننا سوف نقع في خداعهم …

حمل «عثمان» التمثال بين يديه، ثم قدَّمه لـ «أحمد» الذي نظر إليه نظرةً فاحصة، ثم قال: هناك خدعة جديدة!

نظر له الشياطين في دهشة، وسأل «فهد»: ماذا تعني؟

ضغط «أحمد» بيدَيه في قوة على جسم التمثال فانشطر نصفَين، وكانت دهشتهم جميعًا. لقد كان التمثال خاليًا! هتف «أحمد»: يبدو أنهم اكتشفوا الحقيقة فخدعونا بدفن التمثال خاليًا في الأرض، وبينما هم يحملون الماسة معهم.

سكت لحظة، ثم قال: علينا أن نتبعهم الآن، وإلا فإنهم سيهربون منا، وربما إلى الأبد.

لكن لم يكن هناك اتجاه محدَّد يمكن أن يتجهوا إليه، قال «فهد»: إنني أقترح أن نقسم أنفسنا إلى قسمَين، وكل قسم يدور في نصف دائرة، على أن نلتقي في نقطة مُحدَّدة؛ وبذلك نكون قد استطعنا حصار المنطقة كلها.

وافق بقية الشياطين على اقتراح «فهد»، وانقسموا إلى فريقَين؛ فريق يضم «أحمد» و«رشيد»، وفريق يضم «فهد» و«قيس» و«عثمان». وتحدَّدت النقطة «هـ» ليلتقوا فيها. اتجه فريق «أحمد» ناحية اليمين، واتجه فريق «فهد» جهة الشمال. كان الليل مظلمًا تمامًا، حتى إنه لم يكن أحد منهم يستطيع رؤية موضع قدمه، في نفس الوقت لم يستطِع أحد منهم استخدام الضوء حتى لا ينكشف وجودهم؛ فأي لمحة ضوء تكون مكشوفةً تمامًا وسط المساحة الواسعة، والليل المظلم. وبعد مائة خطوة توقَّف «أحمد» فجأةً وهو يمسك بيد «رشيد»، ثم همس: انتظر، يبدو أننا قد أصبحنا قريبين منهم!

تسمَّع «رشيد» لحظة، ثم قال: إنني لا أسمع صوتًا.

ردَّ «أحمد»: إن هناك صوت أشياء تتكسَّر، وهذا يعني حركة أقدام فوق الصخور الصغيرة.

تسمَّع «رشيد» مرةً أخرى، لكنه لم يسمع شيئًا. انحنى على الأرض وألصق أُذنه بها. فجأةً همس: نعم، غير أنه صوت خفيف.

مرَّت لحظات، فهمس مرةً أخرى: إن الصوت يقترب أكثر.

في نفس اللحظة وصلت رسالة من الشياطين استقبلها «أحمد» على جهاز استقباله. كانت الرسالة شفريةً تقول: ««٥-٩-٢٧-٢٠-٢٨» وقفة «٦-٥» وقفة «٦-٨-٢٩-٥-٣-٦» وقفة «٢٥-٢٢-٢٩» وقفة «٢٩-١٦-٤-٢٩-٢٧» وقفة «٢٩-١٧-٢٩-٩-٢٢-٢٩-٦» وقفة «٢٧-٢٧-٢٢-٤» وقفة «٧-١-٥-٢٩» انتهى».

امتلأ وجه «أحمد» بالدهشة، وهمس لـ «رشيد»: هل يكون هذا صحيحًا؟

تساءل «رشيد»: ما هو؟

نقل «أحمد» ترجمة الرسالة إليه، فهمس: غير معقول!

مرَّت لحظة قبل أن يقول «أحمد»: هل تكون هناك خدعة جديدة؟

ردَّ «رشيد»: لاحِظ أننا أمام «سادة العالم»، وهم لن يقعوا في أيدينا بسهولة.

فكَّر «أحمد» لحظة، ثم أرسل رسالةً شفريةً إلى الشياطين: ««٢٩-٥-٥-٢٩» وقفة «٢٩-١-١٥-٢٩» وقفة «٥-٩-٢٧-٢٠-٢٨» وقفة «٦-٥» وقفة «٢٩-١٦-٤-٢٩-٢٧» وقفة «٣-٧» وقفة «٢٧-٢٠-٤-٥» وقفة «٢٣-٢٢-١٢-٣» وقفة «١٠-١» وقفة «٢٩-٧-٦-٤-٩-١٠» انتهى».

نظر إلى «رشيد» وهمس: هل لا تزال الأصوات تقترب؟

قال «رشيد» الذي كان يُلصق أذنه بالأرض: نعم، بل هي أكثر وضوحًا الآن!

فكَّر «أحمد»: هذه مسألة غريبة! هل يمكن أن نكون قد وقعنا بين عدد كبير من أفراد العصابة، أو إنهم يريدون أن نفترق حتى نقع في أيديهم، ويكون الانتصار لهم؟!

انحنى هو الآخر، وأخذ يتصنَّت. كانت أصوات أقدام تقترب. همس: إنهم يقتربون بسرعة، ويبدو أن عددهم قليل.

ردَّ «رشيد» مُتردِّدًا: إن الأقدام تنتقل برشاقة.

قال «أحمد»: قد يكونون من أهل المنطقة، ويعرفون كيف يتحرَّكون فوق هذه الأرض الصعبة!

فجأةً رفع «رشيد» رأسه في الهواء، ثم تشمَّم بقوة، همس «أحمد»: ماذا هناك؟

تشمَّم «رشيد» رائحة الهواء مرةً أخرى، ثم قال: هناك رائحة غريبة.

تساءل «أحمد»: ماذا تعني؟

وقبل أن يرد «رشيد» كانت رسالة جديدة قد وصلت استقبلها «أحمد». كانت رسالةً شفرية: ««٢٧-٢٩-٨-٢٢-٥-٢٩» وقفة «٦-٥» وقفة «٤-٢٥-٤-٢٢» وقفة

«٢٩-١٠-٢٠-٢٩-٢٢» وقفة «٢٩-٧-١٢-١٦-٢٩-٢٨-٣» وقفة «١-٢٥-٢٨» وقفة «٢٩-٥» وقفة «٢٧-٥-١٥-٦-٤-٢٩» وقفة «٢٨-١٨-٢٠-١٢-٣» انتهى».

فجأةً هتف «رشيد»: احذر!

ألقى «أحمد» نفسه على الأرض، في نفس اللحظة التي سقط بجواره جسم خفيف، بينما كان «رشيد» قد أمسك خنجره وطعن طعنةً سريعةً وهو يقول: لقد شككت في ذلك فعلًا.

ارتفع صوت عواء ذئب، فأسرع «أحمد» بخنجره، وقبل أن يقفز الذئب فوقه كان قد سقط بلا حراك.

قال «رشيد»: لقد شممت رائحة الذئبَين قبل أن يفتكا بنا. إن صوت الأقدام فعلًا لم تكن صوت أقدام إنسان!

تنفَّس «أحمد» بعمقٍ وهو يقول: لقد كدنا نفقد معركةً بسبب ذئبَين. لاحظ أن المكان هنا يضم حيوانات أخرى مفترسةً غير الذئاب.

صمت لحظة، ثم أضاف: يجب أن نسرع إلى الشياطين؛ فإن رسالتهم الأخيرة تشير إلى أننا نقترب من ساعة الصفر …

في لمح البصر تحرَّك الاثنان في اتجاه بقية الشياطين، لكنهما لم يعرفا أين يقف الشياطين بالضبط. أرسل «أحمد» رسالةً تسأل عن المكان، وبسرعة جاءه الرد يُحدِّد النقطة التي يلتقون فيها. وعندما نقل «أحمد» الرد إلى «رشيد» قال: إن المسافة بيننا وبينهم لا تزيد على خمسمائة متر.

أسرعا في حركتهما برغم صعوبة الأرض التي كانت عبارةً عن مساحة متسعة بين جبلَين من سلسلة جبال «الألب». فجأةً توقَّف الاثنان. لقد سمعا صوت أقدام. قال «أحمد»: هذه ليست أقدام الشياطين.

أنصت قليلًا، ثم أضاف: يبدو أن أفراد العصابة يقعون بيننا وبين بقية الزملاء.

فكَّر «رشيد» لحظة، ثم رفع رأسه في الهواء وقلَّد صوت ذئب بطريقة يفهمها الشياطين.

مرَّت لحظة، ثم تردَّد صوت ذئب آخر. في نفس اللحظة سمعا صوتًا يقول: يبدو أن المنطقة مسكونة بالذئاب.

همس «أحمد»: إنه صوت «بروك»!

كرَّر «رشيد» صوت عواء الذئب، فردَّ عليه الصوت الآخر. وتردَّد صوت «بروك» مرةً أخرى: إن الذئاب في كل جانب، وهي قريبة منا تمامًا.

ردَّ صوت آخر: ليس أمامنا سوى المسدسات.

قال «بروك» بسرعة: احذر، إن ضوء الطلقات وصوتها يكشف مكاننا.

همس «أحمد»: إنها فكرة جيدة تلك التي استخدمتها معهم؛ فصوت الذئاب كشف الموقف تمامًا.

سكت لحظة، ثم قال: ينبغي أن نُحدِّد وقت الهجوم.

بسرعة كان «رشيد» يرسل إلى الشياطين رسالةً ضوئيةً على طريقة عواء الذئاب، وبسرعة تردَّد الصوت يحمل الرد، وحدَّد لحظة الهجوم، التي كانت بعد عشر نقاط. بدأ «أحمد» يبتعد، حتى إذا جاءت اللحظة المناسبة قفز الاثنان قفزةً واحدة؛ فقد كان أفراد العصابة على مسافة هذه القفزة.

في نفس الوقت كان «فهد» و«عثمان» و«قيس» يفعلون نفس الشيء.

لقد كان الشياطين كالصاعقة؛ فقد فاجئوا أفراد العصابة، حتى إنهم لم يستطيعوا التصرُّف. ضرب «أحمد» أقرب اثنَين إليه فأبعدهما عن المكان. كان تفكيره يتركَّز في «بروك» الذي توقَّع أن يكون هو حامل «الماسة الزرقاء». في نفس اللحظة كان «رشيد» قد ضرب شخصًا ضربةً جعلته يدور حول نفسه. بينما كان «عثمان» قد ضرب أحدهم ضربةً قويةً جعلته يسقط فيرتطم بالصخر صارخًا.

كان الظلام يُخفي ملامح الرجال ... لكن الشياطين كانوا يعرفون أين يجدونهم ... دار «قيس» حول نفسه وهو يُطيح بكل من يقابله، حتى إنه كاد يصطدم بـ «أحمد» الذي قفز خارج حدود دورته، وبسرعةٍ أخرج «أحمد» بطاريةً صغيرةً وأضاءها بحثًا عن «بروك». وكانت المفاجأة أن ضوء البطارية وقع أول ما وقع على وجه «بروك» الذي أغمض عينَيه، فقد وقع الضوء عليهما.

وكانت فرصة؛ فلم يُعطِه «أحمد» وقتًا حتى يتصرَّف؛ فقد قفز إليه بسرعة، ثم ضربه حتى إن «بروك» صرخ، وقبل أن يُفيق من الضربة كان قد وجَّه إليه ضربةً سريعةً أخرى، عندها شعر «أحمد» بالألم؛ فقد اصطدمت قدمه بشيءٍ صلب، وبسرعة أيقن أن قدمه قد اصطدمت بـ «الماسة الزرقاء».

احتمل الألم وتابع ضرباته بسرعة، حتى إن «بروك» العملاق لم يكن يدري من أين تأتيه الضربات، ولا كم واحد يضربه. في نفس الوقت كان بقية الشياطين يُنهون معركتهم؛ فمِن أفراد العصابة من سقط، ومن أسرع بالهرب.

أمَّا «أحمد» الذي ظلَّ يتابع ضرباته لم يتوقَّف حتى سقط «بروك» على الأرض وقد فقد قواه، وفي لمح البصر قفز إليه وهو يقول: «عثمان» ينضم إلى «بروك».

كان «عثمان» قد انتهى من ضرب آخر رجل أمامه، ثم قفز بسرعة في اتجاه «بروك» وأمسك به وكتَّف يدَيه إلى الخلف، بينما كانت يدا «أحمد» تبحثان عن «الماسة الزرقاء» التي وجدها مربوطةً فوق بطنه المنتفخ، وبسرعة كان يفتِّش ثياب «بروك» حتى اصطدمت يداه بالماسة، فأخرجها «أحمد»، وعندما أصحبت الماسة في يده هتف: لقد انتهت المعركة. كم هو محظوظ السيد «كريم الدين»!

وقف الشياطين لحظة. لم يكن هناك ما يفعلونه الآن سوى العودة سريعًا إلى حيث تقف السيارة، وعندما قطعوا الطريق الصعب أخرج «فهد» جهاز استدعاء السيارة، وضغط عليه. ولم تمضِ دقائق حتى كانت السيارة أمامهم. قفزوا داخلها، فانطلقت تشق قلب الليل إلى مدينة «جنيف».

وفي الطريق أرسل «أحمد» رسالةً إلى رقم «صفر» الذي رد: «أهنِّئكم؛ فالشياطين دائمًا ينتصرون في الوقت المناسب».

هنـــداوي